

**المطالب والدفائن والكنوز في مصر الإسلامية بين  
تعامل السلطة والآثار المجتمعية والهوس الشعبي**

**٢١ - ٥١٥ هـ / ٦٤١ - ١١٢١ م**

**د / أحمد عبد السلام ناصف  
أستاذ التاريخ الإسلامي المساعد  
كلية الآداب - جامعة طنطا**



## المطالب والدفائن والكنوز في مصر الإسلامية بين تعامل السلطة والآثار المجتمعية والهوس الشعبي

٢١ - ٥١٥ هـ / ٦٤١ - ١١٢١ م<sup>(١)</sup>

المطالب جمع مطلب، وهى الكلمة التى أطلقتها النصوص التاريخية على الكنوز والدفائن، والقوم المطالبية هم الباحثون عن الكنوز<sup>(٢)</sup> ويذكر المقرئى: أنها كانت مستعملة لهذا المعنى إلى عهده<sup>(٣)</sup>، وفى الواقع فإن نصوص التشريع الإسلامى قد أعطت اهتماماً كبيراً لألية التعامل الشرعى مع الدفائن والكنوز التى خلفتها العصور السابقة، والأصل فى جواز تتبع الدفائن ما رواه عمرو وابن عبد البر والبيهقى فى الدلائل من حديث ابن عباس: أن رسول الله صلعم لما انصرف من الطائف مر بقبر أبي رغال فقال هذا قبر أبي رغال<sup>(٤)</sup> وهو أبو شقيق كان إذا هلك قوم صاح فى الحرم فمنعه الله. فلما خرج من الحرم رماه بقارعة الطريق وآية ذلك أنه دفن معه عمود من ذهب فابتدر المسلمون قبره فنبشوه واستخرجوا العمود منه"<sup>(٥)</sup>.

ومن حديث عبدالله بن عمر سمعت رسول الله صلعم يقول حين خرجنا معه إلى الطائف فمررنا بقبر فقال: هذا قبر أبي رغال وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج أصابته النقمة التى أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه وآية ذلك أنه دفن معه عصا من ذهب إن نيشتم عليه أصبتموه معه، فابتدره الناس فأخرجوا العصا الذى كان معه<sup>(٦)</sup>.

هذا وقد وظف الراغبون فى البحث عن الكنوز هذه الأحاديث كدلالة على جواز نبش القبور لاستخراج ما تحويه من الدفائن والكنز، لأن هذه الدفائن والكنوز تعود بالنفع والفائدة على الحي، ولا تفيد الميت فى شيء.

وبمصر تراث حضارى كبير خلف فى باطن أرضها كنوزاً ودفائن ضخمة أسالت لعاب الآلاف من المطالبين والراغبين فى ثراء يغير حياتهم من

(١) أثبت الباحث العام ٥١٥هـ / ١١٢١م كنهاية لحدود بحثه وذلك لوجود آخر ذكر لحادثة تتعلق بموضوع الدراسة وهو عام وفاة الأفضل بن بدر الجمالى.

(٢) البلوى: سيرة أحمد بن طولون، حققه محمد كرد على، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (د.ت)، ص ١٩٥.

(٣) المقرئى: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تحقيق: محمد زينه عزب، مديحة الشرقاوى، مكتبة مدبولى، القاهرة، ١٩٩٨، ج ١، ص ١٢٤.

(٤) هو قسى بن منبه بن النبيت بن يقدم من بنى إيباد أبو رغال صاحب القبر الذى يُرجم إلى اليوم بين مكة والطائف وهو جاهلى مات سنة ٥٧٥م. انظر: المسعودى: مروج الذهب ومعادن الجوهر مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ط ٥، ١٩٧٣م، ج ١، ص ٢١٧.

(٥) المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٢٤.

(٦) المقرئى: الخطط، ج ١، ص ١٢٥.

النقيض إلى النقيض وخصوصاً تلك المخلفات الضخمة التي خلفتها الحضارة المصرية القديمة، والتي آمن ملوكها أشد الإيمان بضرورة تكتيز كل ذخائرهم للعالم الآخر حيث تمحورت عقيدتهم في البعث والخلود.

لقد تحدثت العديد من النصوص على ريادة البيزنطيين في هذا المضمار، فهذا النص مثلاً يقول " إن الروم لما خرجت من الشام ومصر اكتنزت كثيراً من أموالها في مواضع أعدتها لذلك وكتبت كتباً بأعلام مواضعها وطرق الوصول إليها وأودعت هذه الكتب قسطنطينية ومنها يستفاد<sup>(١)</sup>، وقيل أيضاً إن الروم لم تكتب وإنما ظفرت بكتب معالم كنوز من ملك قبلها من اليونانيين والكلدانيين والقبط<sup>(٢)</sup>، فلما خرج الروم من الشام حملوا تلك الكتب معهم وجعلوها في الكنيسة وقبل: إنه لا يعطي من ذلك أحد حتى يخدم الكنيسة مدة فيدفع إليه ورقة تكون حظه<sup>(٣)</sup>.

على أية حال فقد حدد التشريع الإسلامي عدة أحوال يجب أن يتعامل بها من يجد الكنز أو المطلب ففي عهد الرسول صلعم خرج المقداد لحاجته حتى أتى بقبع الخبزية<sup>(٤)</sup>، وهو بقبع الغرقد، فدخل خربة يقضي فيها حاجته، فبينما هو جالس، إذ خرج جرد قد أخرج من جحر ديناراً. فلم يزل يخرج ديناراً ديناراً حتى أخرج سبعة عشر ديناراً، ثم أخرج طرف خرقة حمراء، فقام المقداد فأخذها فوجد فيها ديناراً. فتمت جملتها ثمانية عشر ديناراً. فأخذها وجاء بها إلى الرسول صلعم، وقص عليه قصته، فقال صلعم هل انبعث يداك الحجر؟ فرد قائلاً: لا والذي بعثك بالحق. فقال الرسول صلعم: لا صدقة فيها. بارك الله لك فيها، وفي عهد عمر بن الخطاب، أصاب جماعة من الصحابة قبراً، فيه مال ورجال عليهم الديباج منسوج بالذهب، فأتوا به عماراً بن ياسر، فكتب به عمار إلى عمر بن الخطاب، فكتب عمر إليه أن يدفعه إليهم<sup>(٥)</sup>.

ولما فتح الصحابة السوس وعليهم موسى الأشعري، وجد دانيال في أبزن<sup>(٦)</sup> وبجانبه مال موضوع، من شاء استقرض من هذا المال إلى أجل، وإن

(١) المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ١٢٥.

(٢) المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ١٢٥.

(٣) المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ١٢٥.

(٤) الخبزية: شجر، ومنه بقبع الخبزية بالمدينة، لأنه كان منتبهاً، ويقع الخبزية بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة وفتح الجيم وباء أخرى، والخبزية بفتح الخاء المعجمة والباء الموحدة وفتح الجيم وباء أخرى، والخبزية: شجر عرف به هذا الموضع. ياقوت الحموي: معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧١، ج ١، ص ٤٧٤، ابن زنجويه: كتاب الأموال، تحقيق: شاكراً ذيب فياض، مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث، د. ت، ص ٧٤٦.

(٥) ابن زنجويه: كتاب الأموال، ص ٧٤٧، ٧٤٨.

(٦) الأبزن: حوض يغتسل فيه ( القاموس المحيط، ج ٤، ١، ص ٢٠).

لم يأتِ بالمال في ذلك الأجل أصيب بالبرص، فلما رآه أبو موسى حضنه وقبله قائلاً: "دانيال ورب الكعبة، ثم كتب في شأنه إلى الخليفة عمر، فكتب إليه عمر: أن كفنه وحنطه وصل عليه، ثم ادفنه كما دفنت الأنبياء، وضع ماله في بيت مال المسلمين، فكفنه أبو موسى في قباطي<sup>(١)</sup> بيض وصلّى عليه ودفنه<sup>(٢)</sup>.

وفي عهد عمر أيضاً روى أن رجلاً وجد ألف دينار مدفونة وهو خارج من المدينة، فأتى بها عمر بن الخطاب، فأخذ منها الخمس، مائتي دينار، ورد بقيتها إلى صاحبها، وجعل عمر يقسم المائتين بين من حضره من المسلمين، إلى أن فضل منها فضلة، فقال أين صاحب الدنانير؟ فقام إليه، فقال له عمر: خذ هذه الدنانير فهي لك<sup>(٣)</sup>.

نلاحظ مما سبق أن هناك ثلاثة أحكام عن عمر مختلفة في الكنز المدفون، إحداها: أنه أخذ منه الخمس، وأعطى سائره من وجده. والثاني: أنه لم يعط الواجد منه شيئاً، ورفع كفه إلى بيت المال. والثالث: أنه أعطاه كله الواجد، ولم يدفع منه شيئاً إلى بيت المال<sup>(٤)</sup>.

ولكل حاكم من هذا وجه، سوى الوجه الآخر فأما الذي خمسه، فإنه عمل فيه بالأصل الذي هو السنة في الركاز، أن يؤخذ منه الخمس، ويكون سائره لواجده، والناس على هذا<sup>(٥)</sup>، وأما الثاني الذي وجد مع دانيال، وإنما رفعه كله إلى بيت المال، وترك أن يعطي الذين وجدوه شيئاً منه، لأنه كان مالاً معروفاً متعاملاً قد تداوله الناس بينهم بالاستقراض، على ما ذكر في الحديث، فإلى من كان يدفعه وكلهم قد عرفوه، وصاروا فيه بمنزلة واحدة، فكان بيت المال أولى به، ليكون عاماً لهم، وإنما الركاز ما كان مستوراً مجهولاً، حتى يظهر عليه واجده، فيكون حينئذ له بعد الخمس<sup>(٦)</sup>.

وأما الثالث الذي لم يخمسه وسلمه كله لأصحابه. فإنما ذلك لأن حكم الخمس إلى الإمام، يضعه حيث يرى، كخمس الغنيمة فرأى عمر أن يرده إلى الذين أصابوه، وذلك لبعض الوجوه التي يستحق بها الناس النفل من الأخماس،

(١) القباطي والقباطي جمع قبطية وهي ثياب تنسب إلى قبط أهل مصر والقبطية مضمومة على غير قياس (القاموس المحيط، ج ٢، ص ٣٧٨).

(٢) ابن زنجويه: كتاب الأموال، ص ٧٤٧.

(٣) ابن زنجويه: كتاب الأموال، ص ٧٤٩.

(٤) ابن زنجويه: كتاب الأموال، ص ٤٧٩.

(٥) ابن زنجويه: كتاب الأموال، ص ٧٥٠.

(٦) ابن زنجويه: كتاب الأموال، ص ٧٥٠.

إما لغناء كان منهم عن المسلمين، وإما لنكاية في عدوهم، فرأهم عمر مستحقين لذلك، كما أنه لو شاء أخذهم منهم، ثم صرفه إلى غيرهم<sup>(١)</sup>.

وحكى عمر بن شعيب أن عبداً وجد ركزه على عهد عمر فأعتقه، وأعطاه منها، وجعل سائرها في مال الله<sup>(٢)</sup>، فكتب عمرو بن العاص إلى عمر يسأله عن عبد وجد جرة من ذهب مدفونة، فكتب له عمر أن ارضخ له منها، ذلك أحرى أن يؤدوا ما وجدوا<sup>(٣)</sup>.

### تعامل ولاية مصر مع المطالب ومكتشفيها:

لما فتح عمرو بن العاص مصر قال لقبط مصر: إن من كتمني كنزاً عنده فقدرت عليه قتلته. ومن ذلك أنه في ولاية عمرو بن العاص على مصر، جاءه قبظياً من أهل الصعيد يقال له بطرس ذكر لعمرو بن العاص أن عنده كنزاً، فأرسل إليه فسأله فأنكر وجحد فحبسه في السجن، وعمرو يسأل عنه هل يسمعونه يسأل عن أحد، فقالوا: لا إنما سمعناه يسأل عن راهب في الطور، فأرسل عمرو إلى بطرس فنزع خاتمه من يده ثم كتب إلى ذلك الراهب أن ابعث إلي بما عندك وختمه بخاتمه. فجاءه رسوله بقلعة شامية مختومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها: مالكم تحت الفسقية الكبيرة فأرسل عمرو رجاله إلى الفسقية فحبس عنها الماء ثم قلع البلاط الذي تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين إردباً ذهباً مضروبة. فضرب عمرو رأسه عند باب المسجد، ليكون عبرة لغيره، فذكر المؤرخون أن القبط أخرجوا كنوزهم شفقاً أن يبغى على أحد منهم فيقتل كما قتل بطرس<sup>(٤)</sup>.

من هذا النص التاريخي الذي ذكره ابن عبد الحكم<sup>(٥)</sup> يتضح سياسة عمرو بن العاص وتشدده مع المصريين في مسألة المطالب والكنوز، وأن هذه المطالب والكنوز من حق الدولة وليس للأفراد فيها أي حق، فهو رفض الخمس من الكنز، ورفض أنه يعطل من وجده حتى أي شيء، بل الأكثر من ذلك أنه قتله حتى يكون عبرة للمصريين جميعاً، وليخاف المصريين من سطوة الدولة

(١) ابن زنجويه: كتاب الأموال، ص ٧٥٠.

(٢) ابن زنجويه: كتاب الأموال، ص ٧٥٠.

(٣) ابن زنجويه: كتاب الأموال، ص ٧٥١.

(٤) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، تحقيق محمد صبيح، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر، ١٩٧٤م، ص ٦٥.

(٥) ابن عبد الحكم: فتوح مصر وأخبارها، ص ٦٥.

وشدتها، وهذا يدل على كثرة الكنوز والمطالب التي صادرها عمرو بن العاص من قبط مصر عندما فتحها<sup>(١)</sup>.

ولم تتوقف جهود الولاة والحكام في مصر على استخراج المطالب والكنوز المستودعة بباطن الأرض ما وسعهم في ذلك وسع ومن ذلك أن عبدالعزيز بن مروان كان عاملاً على مصر لأخيه أمير المؤمنين عبدالملك بن مروان، فأتاه رجل بنصيحة لعبد العزيز بن مروان، فسمع له عبدالعزيز وقال ما نصيحتك ، فقال الرجل: بالقبة الفلانية كنز عظيم. فقال عبدالعزيز وما علامات ذلك ؟ قال: هو أن يظهر لنا بلاط من أنواع المرمر والرخام عندما نحفر مسافة بسيطة في عمق الأرض، حتى ينتهي بنا الحفر إلى باب من الصخر تحت عمود من الذهب، يوجد أعلاه ذلك من ذهب، عيناه قوتتان تساويان الدنيا ، وجناحاه مضرجان بالياقوت والزمرد، وبرائنه على صفائح الذهب على أعلى ذلك العمود<sup>(٢)</sup>.

فقال له عبدالعزيز: وما هي مطالبك، قال النفقة والرجال، فأمر له عبدالعزيز بنفقة ألون من الدنانير لأجرة من يحفر من الرجال ويعمل فيه. وكان هناك تل عظيم، فحفروا حفرة عظيمة في الأرض في قلب التل، فظهرت الدلائل التي أخبر عنها الرجل لعبد العزيز من الرخام، والمرمر، فازداد عبدالعزيز من تصديقه للرجل وزاد في النفقة ، وأكثر من عدد الرجال الذين يقومون بالحفر، فانتهوا في حفرهم إلى ظهور رأس الديك، فبرق عند ظهوره لمعان عظيم كالبرق الخاطف لما في عينيه من الياقوت، وشدة نوره، واتساق ضيائه<sup>(٣)</sup>.

وحسب الوصف أنه قد بان بعد ذلك جناحاه، ثم ظهرت برائنه ، وظهر حول العمود الذهب المرصع بالأحجار والرخام، قناطير مقنطرة وطاقات على أبواب معقودة، ولاحت في داخل هذه القاعات المعقودة، تماثيل وأشخاص من أنواع الصور والذهب وأخزنة من الأحجار قد أطبقت عليها أعطيتها وشبكت<sup>(٤)</sup>.

فلما أتى عبدالعزيز الخبر من رجاله المتابعين للحفر، ركب بنفسه وأشرف ونظر إلى الموضع، ونزل بنفسه ونظر إلى ما ظهر من ذلك، فتسرع بعض الرجال، ووقعت رجله خطأ على درجة من السلم شبكة من النحاس، تنتهي إلى ما هنالك، فلما استقرت قدمه على الدرجة الرابعة من السلم، ظهر

(١) ابن الزبير: الذخائر والتحف، حققه محمد حميد الله ، وراجعته: صلاح الدين المنجد، ج١، الكويت، ١٩٥٩م، ص ٢٤٧.

(٢) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص ٣٦٦، ٣٦٧؛ النويري: الإلمام أو مرآة العجائب، تحقيق: عزيز سوريال عطية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، دت، ص ١٠٠-١٠٣.

(٣) المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص ٣٧٧؛ النويري: الإلمام، ج١، ص ١٠٠-١٠٣.

(٤) المسعودي: مروج الذهب، ج١، ص ٣٧٧؛ النويري: الإلمام، ج١، ص ١٠٠-١٠٣.

سيفان عاديان عن شمال الدرجة ويمينها، فالتها على الرجل ، فلم يستطيعوا انقاذه، فقطعاه إرباً، وأهوى جسمه أسفل ، فلما استقر على الدرج بعض جسمه، اهتز العمود وصفر الديك صفرة عجيبة ، اسمعت من كان بالبعد من هنالك وحرك الديك جناحه، فظهرت من تحته أصوات عجيبة قد صنعت باللوالب والحركات إذا وقع على بعض تلك الدرج شيء أو ماسها، فتهافت وسقط في الأسفل<sup>(١)</sup> كل من كان هنالك من الرجال، وكان فيها عدد كبير ممن يحفر ويعمل وينقل التراب ويصير ويحرك ويأمر وينهي، بلغ عددهم نحو ألف رجل، فهلكوا جميعاً<sup>(٢)</sup> فجزع عبدالعزيز من هذا، وقال هذا ردم عجيب الأمر ممنوع النيل، نعوذ بالله منه، وأمر جماعة الناس فطرحوا ما أخرج من التراب ورددوا الحفر على من هلك من الناس، وكان الموضع قبراً لهم<sup>(٣)</sup>، ويبدو واضحاً اختلاط هذه الرواية التاريخية ببعض الملامح الأسطورية وهو ما سيتوقف عنده الباحث لاحقاً.

كما لم تتوقف أعمال البحث والتنقيب عن المطالب والكنوز في عصر الطولونيين أيضاً بل زادت وأصبحت تتولاها السلطة الحاكمة، وكون أولئك الباحثون عن الكنوز والدفائن نقابة من نقابات الحرف صارت خاضعة للضريبة كسائر الحرف الأخرى<sup>(٤)</sup> ومصادق ذلك: أن أحمد بن طولون ركب يوماً في طريقه إلى الأهرام، وأثناء سيره ، أتاه حجابيه يقوم عليها ثياب صوف وفي أيديهم مساح ومعاول، فسألهم عن عملهم ، فقالوا: نحن قوم نطلب المطالب، فقال لهم: لا تخرجوا بعد هذا الوقت إلا بمنشور، ورجل من قبلي يكون معكم، فقالوا سمعاً وطاعة للأمير، وسألهم أحمد بن طولون عما تحت أيديهم وما يعرفونه من أماكن المطالب، فذكروا له أن في جنب الأهرام مطلباً قد عجزوا عنه، لأنهم يحتاجون في حفره إلى جمع كبير من الرجال، ونفقات عظيمة من المال، وفيه مال عظيم<sup>(٥)</sup>.

(١) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ٣٧٧؛ المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ١٢٨؛ النويري: الإمام، ج ١، ص ١٠١.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ٣٧٧؛ المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ١٢٨؛ النويري: الإمام، ج ١، ص ١٠١.

(٣) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ٣٧٧؛ المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ١٢٨؛ النويري: الإمام، ج ١، ص ١٠١.

(٤) السيد طه أبو سديرة: الحرف والصناعات في مصر الإسلامية منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١، ص ١٤٣.

(٥) البلوي: أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد علي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.ت، ص ١٩٤، ١٩٥؛ ابن سعيد الأندلسي: المغرب في حلي المغرب، تحقيق ذكي محمد حسن، شوقي ضيف، سيدة كاشف، ج ١، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الذخائر، ٨٩، الشركة الدولية للطباعة، ٢٠٠٣، ص ٩٨، ٩٩.



فنظر أحمد بن طولون إلى شيخ من أصحابه يعرف بالرافقي فضمه إليهم، وأمر عاملاً بالجيزة في تلبية طلباتهم من النفقات والرجال وانصرف<sup>(١)</sup>، فأقام القوم يعملون مدة حتى ظهرت لهم العلامات، فتركهم الرافقي، وذهب إلى أحمد بن طولون وأخبره، فركب أحمد بن طولون حتى وقف على الموضوع، فلما رآه الناس جدوا في الحفر، فكشفوا عن حوض عظيم مملوء دنانير، وعليه غطاء مكتوب عليه بالبيزنطية - اللغة التي يتكلم بها في بيزنطة وهي اليونانية- فأحضروا من قرأ، فكان المكتوب أنا فلان بن فلان الملك الذي ميز الذهب من شئونه وعشه، وأدناسه، فمن أراد أن يعلم فضل ملكي على ملكه، فنظر إلى فضل عياري على عيار ديناره، فإنني فخلص الذهب من الغش مُخلص في حياته وبعد مماته<sup>(٢)</sup>.

أي أن أحمد بن طولون لم يقبل في عصره أن تكون المطالب والكنوز مسألة خاصة بأفراد وإنما اعتبرها مما يخص الدولة<sup>(٣)</sup>.

ويروي أن أحمد بن طولون ركب الصيد، فلما مشى في الصحراء مسافة كبيرة، غاصت رجل فرس أحد غلمانه في الأرض، فسقط الغلام من على الفرس، لتزول رجل الفرس في الأرض، فوقف أحمد بن طولون واستخرج رجل الفرس، ودقق النظر فوجد فتق، ففتحه، فوجد فيه من المال الكثير، ما يحاول ألف دينار، وهو المطلب الذي شاع ذكره على أيام ابن طولون<sup>(٤)</sup>، وكتب أحمد بن طولون إلى الخليفة المعتمد في العراق يخبره بما وجده في هذا المطلب، فكتب إليه المعتمد أن يصرفه في وجوه البر<sup>(٥)</sup>.

ولم يقتصر الأمر على هذا، فمع الحفر المتوالي لأحمد بن طولون أصاب بعد هذا الكنز مالاً عظماً وجده في الجبل على مقربة من الفتق الذي غاصت فيه رجل الفرس<sup>(٦)</sup>.

وكانت مجرد الشبهة أن أحداً، وجد كنزاً دون تبليغ السلطات المختصة يعد بمثابة جريمة كبرى لدرجة أن الأقباط وشوا بعضهم لدى أحمد بن طولون بتهمة إخفاء كنز عن السلطة الحاكمة، إلا أن أحمد بن طولون كان حازماً في التحقق من هذا الأمر بنفسه، فإن كان الأمر صحيحاً أخذ حق الدولة، وإن كان

(١) البلوي: أحمد بن طولون، ص ١٩٤؛ ابن سعيد الأندلسي، المغرب حلي المغرب، ص ٩٨.

(٢) البلوي: أحمد بن طولون، ص ١٩٥؛ ابن سعيد الأندلسي، المغرب حلي المغرب، ص ٩٨، ٩٩.

(٣) سيده كاشف: أحمد بن طولون، ص ٢٣٠، ٢٣١؛ عبد العزيز العطار: مظاهر الرعاية الاجتماعية في العصرين الطولوني والإخشيدي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب جامعة طنطا، ٢٠١٧م، ص ٥٣.

(٤) البلوي: أحمد بن طولون، ص ٧٦؛ عبد العزيز العطار: مظاهر الرعاية الاجتماعية، ص ٥٣.

(٥) البلوي: أحمد بن طولون، ص ٧٦.

(٦) البلوي: أحمد بن طولون، ص ٧٦.

وشاية رد حق المظلوم ، فمن ذلك أن أحمد بن طولون أرسل أحد قواده إلى الريف لإصلاح بعض الأحوال وحمل بعض الأموال، فأقام القائد في إحدى الضياع أياماً. وفي أثناء ذلك حضر إليه بعض أقباط الضيعة، وعرفوه أن راهب القرية عثر على كنز من المال. فحمل هذا الكلام القائد على الطمع في أموال الرهاب فأحضره وهدده وأخذ منه خمسمائة دينار وانصرف من الضيعة إلا أن بعض أصدقاء الراهب نصحوه برفع شكوى إلى أحمد بن طولون بما فعله القائد معه، فتوجه الراهب إلى قصر الأمير وطلب مقابلته، ولما سأله الحاجب عن سبب المقابلة فقص عليه القصة، وكان الحاجب صديقاً للقائد فدفع عنه الخمسمائة دينار حتى ينقذ صديقه من عقاب الأمير، فلما عرف الأمير القصة أحضر الحاجب واعترف، فاعتقل الأمير قائده، وقال للراهب "كان يجب أن تدعى بثلاثة آلاف دينار أخذها لك منه وأجعل ذلك تأديباً له ولغيره"<sup>(١)</sup>

ولم تتوقف أعمال الحفر والبحث عن المطالب في عهد الإخشيد، فقد عثر بعض الباحثين عن الدفائن والمطالب والكنوز على كتاب مكتوب بأقلام الأمم السالفة، يضيف هذا الكتاب مكان مطلب عجيب بالقرب من الأهرام، فأخبروا الإخشيد بعد ذلك ، فأذن لهم بحفره<sup>(٢)</sup> وأمدهم بكل ما يحتاجون من الرجال والمؤن ، فحفروا حفرة عظيمة ، وانتهوا في حفرهم إلى سلم وقباب وحجارة مجوفة منقوش عليها صور تماثيل واقفة على أرجلها، وتماثيل من الخشب، قد طليت بطلاء ليمنعها من سرعة البلى وتفكك أجزائها، وكانت الصور مختلفة إلى حد كبير، فمنها صور على شكل شيوخ وشبان ونساء وأطفال، أعينهم مصنوعة من كافة أنواع الجواهر من ياقوت وزمرد وفيروز وزبرجد، ومن هذه التماثيل مصنوع وجوها من الذهب والفضة، وعندما قاموا بكسر هذه التماثيل وجدوا في داخلها أجساماً محنطة، وإلى جانب كل تمثال منها نوع من الأنية كالبراني<sup>(٣)</sup> وغيرها من الآلات من المرمر والرخام ، وقد طلي ذلك الميت الموضوع في تمثال خشب بنوع من الطلاء، وما بقي من الطلاء موضوع إلى جانبه وهذا الطلاء عبارة عن دواء ومسحوق وأخلاط مهمولة عديمة الرائحة، فلما رفعوها على النار، فاحت من هذا الطلاء رائحة ذكية، وقد رسم على كل تمثال من الخشب على صورة من فيه من الناس على اختلاف أسنانهم ، ومقادير أعمارهم، وتباين صورهم، وأمام كل تمثال من الخشب تمثال من الحجر مصنوع من الرخام الأخضر أو المرمر على هيئة الصنم ، على

(١) البلوي: أحمد بن طولون ، ص ٢٠٦، ٢٠٨؛ عبدالعزيز العطار : مظاهر الرعاية الاجتماعية، ص ١٠١.

(٢) المسعودي: مروج الذهب ومعان الجواهر، ج ١، ص ٣٦٨.

(٣) المسعودي: مروج الذهب ومعان الجواهر، ج ١، ص ٣٦٨؛ المقرئ: الخطط، ج ١، ص ١٢٨.

حسب عبادتهم للتماثيل والصور<sup>(١)</sup>، ومكتوب على كل تمثال كتابات بخطوطهم ، التي لم يعرف أحد قراءتها- والمقصود بها اللغة المصرية القديمة- ويقولون إن هذه الكتابة قد فقدت من أرض مصر من حوالي أربعة آلاف عام<sup>(٢)</sup>، فهم قوم ليسوا بيهود ولا نصارى، ولم يجدوا في الحفر أكثر من هذا، وكان ذلك في سنة ثمان وعشرين وثلثمائة من الهجرة<sup>(٣)</sup>.

كما لم تتوقف أعمال التنقيب والبحث عن الذهب والكنوز والمطالب منذ بداية حكم الفاطميين في مصر في منتصف القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي، بل انصب اهتمام العديد من الخلفاء بالبحث عن الكنوز والدفائن، وجدهم في ذلك السبيل يذكر ناصر خسرو أنه كان للسلطان خادم اسمه عمدة الدولة، وهو أمير المطالبين وكان عظيم الجاه والمال ومن اختصاصاته البحث في تلال مصر عن الكنوز والدفائن ، كما كان يأتي لهذا الأمر رجال من المغرب وبلاد الشام وينفقون المال الكثير في تلال مصر ومحارها وكثيراً ما يجدون الدفائن والكنوز<sup>(٤)</sup>.

ولدينا إحدى الروايات التي تتحدث عن قصة واحد من أشهر وأهم الكنوز التي تم اكتشافها في العصر الفاطمي، وربما طغت الأسطورة على السياق العام للنص إلا أن الأساطير الموجودة بالنص لا تجعلنا نغض الطرف عما بالنص من حقائق تتعلق بالتأريخ للمطالب في مصر في العصر الفاطمي، ففي عهد الحاكم بأمر الله شاع أمر الكنز الذي عثر عليه وردان، وأخذه منه الحاكم، ففي خلافة الحاكم بأمر الله كان هناك رجلٌ من عامة الناس يسمى وردان ، كان يعمل جزاراً، وكانت تأتيه كل يوم في الصباح امرأة حسنة المنظر، فتعطيه دينارين وتأخذ منه خروفاً، وتأمره أن يشقه لها شقين<sup>(٥)</sup> ثم تأتي بحمال يحمله على قفصه وتنصرف، فظلت على ذلك فترة من الزمان ، فتفكر ذات يوم وردان في حال تلك المرأة، بعد أن نظر في العملة التي تعطيها له فوجدها قديمة في الزمن<sup>(٦)</sup> فراودته نفسه أنها تخفي كنزاً، فذهب إلى الحمال الذي يحمل لها الخروف وسأله عن حالها، فقال له والله إني لأرى من أمر هذه المرأة العجب، وذلك أنها لما تحملني من عندك الخروف اللحم، تذهب بي إلى راهب في قصر الشمع، فتعطيه دينارين، وتأخذ منه زجاجتين من الخمر،

(١) النويري: الإمام، ج ١، ص ١٠١-١٠٢.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ٣٦٩.

(٣) النويري: الإمام، ج ١، ص ١٠٢.

(٤) ناصر خسرو "سفر نامه، ترجمة: يحيى الخشاب، تصدير عبدالوهاب عزام، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣م، ص ١٢٩.

(٥) ابن أبيك: كنز الدرر وجامع الغرر، ص ٣٠٢، ٣٠٣.

(٦) ابن أبيك: كنز الدرر، ج ١، ص ٣٠٣.

وتعطيه ديناراً آخر فيعطيهما عشرين درهماً، فتتقاضى حاجتها بعشرة دراهم من فاكهة ونقل وشمع وخبز قليل وحوايح الطعام ما بين خضار وأبزار وحطب ، وتحملني جميع ذلك إلى طرف بساتين الوزير من ناحية الجبل<sup>(١)</sup> ثم تقوم بشد عيني بعصابتين شداً جيداً، وتمسك بيدي وتمشي بي مقدار ساعة فلكية في طرق وعرة<sup>(٢)</sup>، وأضع القفص على صخرة كبيرة، ويعطيني من هناك قفصاً فارغاً ، وتعود بي إلى المكان الذي شددت فيه عيني، فتحل العصابتين وتعطيني العشرة دنانير، وتقول لي لا تقطع عيشك بيدك<sup>(٣)</sup>، فلما سمع وردان ذلك من الحمال، تحقق أن هذه المرأة تخفي كنزاً، فقال للحمال: يا أخي والله لقد صدقتك ، لا تقطع رزقك بيدك، فحنن تكسب من ورائها ولا نغرم فامسك ما معك<sup>(٤)</sup>.

ثم إن وردان جهز نفسه إلى حضور تلك المرأة وأخذت اللحم منه، فأوقف صبيه مكانه وتبعها، وحرص كل الحرص ألا تشعر به، إلى حين قضت سائر حالها، وخرجت من حدود القاهرة وهو يتبعها من غير أن تشعر به، حتى وصلت بتلك الحمال إلى هذه الصخرة، فتوراي وردان خلف صخرة أخرى، حتى أوصلت الحمال وعادت فنقلت كل ما في القفص، فوثب وردان إلى تلك الصخرة التي كان عليها القفص فوجد إلى جانبها طابق بسرداب بدرج نازلة. فنزل فيهم إلى دهليز مظلم، وفي آخره ضوء ظاهر، فمشى حتى وصل إلى ذلك الضوء، فوجد عن يمينه قاعة نيرة مليحة لا يعرف من أين يأتيها هذا الضوء<sup>(٥)</sup> فجلس بجانب الباب ينظر إلى داخل القاعة، فإذا بداخل القاعة دب أسود كأنه بعيد من عظم خلقه، والمرأة قد أخذت شقة ذلك الخروف ، قطعت منها أطيب ما فيها حوالي أربعة أرطال، وألقت بباقي اللحم إلى ذلك الدب ، فبرك الدب على اللحم حتى أكله كله، وصار يكسر العظم بأنيباه ، وعلقت المرأة قدراً وطبخت ذلك اللحم الذي قطعت من تلك الشقة من اللحم التي رمتها للدب، وعلقت الشقة الأخرى في خطاف تحت مكان تلعب فيه الريح، لا يعلم من أين تأتي هذه الريح<sup>(٦)</sup>.

فلما استوى طعامها غرفته في أواني من الميناء لا يقدر على ثمنها، ثم أكلت كفايتها ورفعت الباقي، ثم مدت الفاكهة والنقل ، وصبت ذلك الخمر في أواني من البلور والجوهر تأخذ بالعقل، ثم شربت وعادت لتسقي ذلك الدب وهو

(١) ابن أبيك: كنز الدرر، ج١، ص ٣٠٣.

(٢) ابن أبيك: كنز الدرر، ج١، ص ٣٠٤.

(٣) ابن أبيك: كنز الدرر، ج١، ص ٣٠٤.

(٤) ابن أبيك: كنز الدرر وجامع الغرر، ج١، ص ٣٠٤.

(٥) ابن أبيك: كنز الدرر وجامع الغرر، ج١، ص ٣٠٤.

(٦) ابن أبيك: كنز الدرر ، ج١، ص ٣٠٤.

يشرب بصوت عالي ما تسقيه له<sup>(١)</sup>، وبعد ذلك نزع لباسها من على جسمها وانقلبت، وقام إليها ذلك الدب ينكحها، وأصبح صوت شخيرها عالياً، حتى وقع من عليها كالميت ، وكذلك هي كالميتة<sup>(٢)</sup>.

فنظر وردان إلى كل هذا، وقال ما قعادي؟ أأعد حتى يستفيق هذا الدب من سكره ويراني، ويقطعني قطعاً، فجذب سكيناً كان في وسطه، وفصل رأس الدب عن بدنه، فشخير الدب كالرأس من البقر عن الذهب وأكثر، فاستيقظت المرأة من غفوتها على حس شخيرها كالمجنونة، فنظرت فوجدت وردان قائماً على جثة الدب وقد فصل رأسه عن جسده، فصرخت صرخة كادت تفيض روحها منها، وقالت عملتها يا وردان، فقال لها وردان يا عاهرة، وما حملك على هذا الانحراف، فرغت الرجال من الدنيا حتى تجامعي ذلك الدب؟ فقالت له يا وردان هذا هو المكتوب والكائن المقدر، وقد انتهى أجلي فاذبحني كما ذبحت هذا الدب فما بقي لي بعدها حياة في الدنيا<sup>(٣)</sup>.

فقال وردان، خافي الله عز وجل وتوبي إليه، وأنا أتزوجك في الحلال ونعيش بقية عمرنا في هذا الكنز، ويرد الله عاقبتك بعد المعصية إلى خير<sup>(٤)</sup>، فقالت له يا وردان لا تتعب نفسك ولا تطل واذبحني ، فلو أن غيرك من سائر خلق الله ما وصل إلى هناك، وإن لم تفعل ما أمرك به أتلفتك، وإن فعلت وذبحتني نجوت بنفسك وبجميع ما في هذا الكنز<sup>(٥)</sup>.

فقال لها وردان وماذا تقدري أن تفعلي بي؟ فنهضت إلى صحن وسط المكان فيه قليل من الماء، فتكلمت عليه ففار الماء من سائر أجناب المكان، وصار في لحظة إلى الخلال، فقالت له يا وردان أدرك نفسك واذبحني كما أمرتك وإلا هلكت بالغرق<sup>(٦)</sup>، فقال لها وردان أمسكي أيتها المرأة فإني فاعل ما تأمرين به، فتكلمت فعاد الماء إلى ما كان عليه، فقالت له هيا يا وردان افعلي بي كما فعلت بالدب، فأمسك وردان بشعرها وذبحها وتركها إلى جانب الدب<sup>(٧)</sup>.

ثم أخذ وردان من ذلك الدر والجواهر والذهب ما قدر على حمله، ووضع في القفص الذي للحمال، وغطاه بخرقه، وطلب الطريق، فلما وصل باب مصر، إذ وثب عليه عشرة من الحراس، كأنما كانوا في انتظاره، قائلين له

(١) ابن أبيك: كنز الدرر، ج ١، ص ٣٠٥.

(٢) ابن أبيك: كنز الدرر، ج ١، ص ٣٠٥.

(٣) ابن أبيك: كنز الدرر، ج ١، ص ٣٠٥، ٣٠٦.

(٤) ابن أبيك: كنز الدرر، ج ١، ص ٣٠٦.

(٥) ابن أبيك: كنز الدرر، ج ١، ص ٣٠٦.

(٦) ابن أبيك: كنز الدرر، ج ١، ص ٣٠٦.

(٧) ابن أبيك: كنز الدرر، ج ١، ص ٣٠٧.

وردان لا تخف، تعال معنا إلى الخليفة الحاكم، وأحضروه بين يدي الحاكم ، فلما رآه قال له وردان ذبحت الدب والعاهرة ، فبهت وردان لذلك وقال نعم يا أمير المؤمنين ، فقال أرى قفصك، فنظره ثم أعاد عليه غطاءه ، وقال يا وردان هذا القفص نصيبك لا يعارضك فيه معارض، وإنما اطلب منك أن تتوجه معي وتستلمني الكنز<sup>(١)</sup>.

فركب وردان حماره وتوجه مع الحاكم إلى الكنز وعندما وصل قال يا أمير المؤمنين انزل معي لترى وتتنظر إلى هول خلقه هذا الدب، فقال الحاكم: هيهات يا وردان إنك لم تعد ترى لا الدب ولا المرأة وهما كانا قريبان من هذا الكنز<sup>(٢)</sup> حتى تسهل عليك الأخذ منه، وهو كان فتحه على صورتك، ولا يستطيع أحد ان ينزل إليه غيرك، انزل الآن واستخرج لي جميع ما يحتويه، ولا تتعرض لصاحب السرير<sup>(٣)</sup>.

وبالفعل نزل وردان فلم يجد أثراً للدب ولا للمرأة ولا حتى مكان الدم، ونقل وردان ما كان فيه من الذخائر والجواهر والأموال، ويسلمها إلى الحاكم، ونقله الحاكم إلى رصده المطل على بركة الجيوش، ثم أنه أعطى وردان ذلك القفص وأمر ألا يعارضه فيه معارض، فبنى منه وردان جميع هذه الدكاكين المعروفة بسوق وردان بمصر<sup>(٤)</sup>.

إن الحكاية السابقة رغم أنها ترقى لأن تكون أسطورة في كافة تفصيلاتها ، إلا أن الباحث عليه أن يحلل دلالات الميثولوجيا التاريخية مستخرجاً منها الدلالات الحقيقة حتى لو اكتفينا بتصنيف هذه الحكاية أنها تعكس الولع بالمطالب والدفائن في مصر في العصر الفاطمي، وهو ما دفع العقلية الشعبية المصرية أن تنتج مثل هذه الحكايات .

وفي العصر الفاطمي أيضاً شاع نبأ عثور الأفضل على كنز يعرف بكنز الحمار، وكانت قصة عثوره عليه أنه كان بمصر رجل أهدب، يعمل إسكافياً، يقوم بترقيع العتيق من المداسات، فجمع من عمله هذا ثمانين درهماً ، ففكر هذا الأهدب أن يشتري حماراً، يركبه عندما يفرغ من شغله فذهب إلى سوق الدواب واشترى حمارة، كانت من تركة إنسان توفي فاشتراها بثمانين درهماً<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن أبيك : كنز الدرر وجامع الغرر، ج١، ص ٣٠٧.

(٢) ابن أبيك : كنز الدرر وجامع الغرر، ج١، ص ٣٠٧.

(٣) ابن أبيك : كنز الدرر وجامع الغرر، ج١، ص ٣٠٧.

(٤) ابن أبيك : كنز الدرر وجامع الغرر، ج١، ص ٣٠٧.

(٥) ابن أبيك: كنز الدرر وجامع الغرر، ج٢، ص ٤٦٧.

وفي صباح اليوم التالي ركبها الأحذب وتوجه بها نحو القرافة وهي تسرع به في مشيها من دون أن يضربها، فأعجبه منها ذلك، واستمر في مشيه إلي بساتين الوزير، فتوجه به إلى الجبل وهي تسرع أشد إسراع، ولا عاد يقدر على منعها، فلم تزل تمشي به في الجبل حتى فصلت إلى مكان فيه مدود مبني وبه أثر شعير وتين وقصرية وجرة، فوقفت على هذا المدود فتعجب الأحذب ونزل من عليها، فوجد إلى جانب المدود طابقاً بدرج، فجعل البهيمة في ذلك المدود ونزل من على الدرج، فأوصله الدرج إلى قاعة حسنة ذات أربعة أعمدة متقابلة، فيها من الأموال ما لا حصر له. ووجد في زاوية المكان شعراً وتيناً، فأخذ منه كفاية البهيمة وطلع رماه لها<sup>(١)</sup>

ونزل إلى المكان وصار يرقص ويصفق وقد طار عقله من الفرح، ثم نظر فوجد وعاء معلقاً فحطه إلى الأرض، فوجد فيه أكلاً مشويًا وخبزاً وحلوى فأكل، وفي وسط تلك القاعة وجد بركة من الماء كأعذب ما يكون فشرب منه وسقى البهيمة<sup>(٢)</sup>، ثم أخذ من ذلك الذهب ما يقدر على حمله حماره، وركب وعاد إلى مصر في العشاء، ثم أنه استأجر قاعة حسنة في مكان غير معلوم، وصرف من الذهب القليل حتى جعل القاعة أحسن ما يكون كمجالس الملوك، وخاط لنفسه أوفر الثياب من كل ملبوس، حتى يلبسه إذا خلا بنفسه في تلك القاعة، وهو لا يفارق ما عليه من خرق بالية في دكانه، ويعود إلى المكان ينقل منه أولاً بأول<sup>(٣)</sup>.

وكانت جواري الأفضل إذا أردن الحمام مررن من على الأحذب، وكانت فيهن جارية تعبت بالأحذب إذا مرت به وتضحك عليه، فيقول لها، والله لو زرتني لوجدتني عندي مالا عند الأفضل، فلما كرر عليها القول قالت يا أحذب أهزل ما تقول أم جد، فقال لها لا والله يا نور عيني ما أقول إلا جداً<sup>(٤)</sup> فقالت له جهز نفسك مثل هذا اليوم أنا عندك، فلما كان ذلك اليوم أتت إليه وهي متنكرة فأخذها وأتى بها إلى القاعة، فنظرت إلى زي حسن، ثم قدم لها مأكلاً ومشرباً عنده في أوان عجيبة، لم ترها عند الأفضل، وقدم لها كيساً فيه ألف دينار، وأقامت عنده إلى آخر النهار، وخرجت إلى منزلها وقد تملكها العجب من أمر الأحذب<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن أبيك: كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٢، ص ٤٦٨.

(٢) ابن أبيك: كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٢، ص ٤٦٨.

(٣) ابن أبيك: كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٢، ص ٤٦٨.

(٤) ابن أبيك: كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٢، ص ٤٦٨، ٤٦٩.

(٥) ابن أبيك: كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٢، ص ٤٦٩.

ثم صارت تزوره كل فترة، وكلما تأتي يعطيها كيساً فيه ألف دينار، وأحبها الأحدب كثيراً، ولما علمت الجارية أنها ملكت قلبه سألته عن أمره، فأنكر وما زالت به حتى اعترف<sup>(١)</sup> فقالت له: أريد أن أنظر إلى هذا المكان، فأردفها خلفه على الحمار وأتى إلى المكان، فنظرت الجارية إلى ما أبهر عقلها، ثم طمعت في سلسلة لؤلؤ مفصلة بقضبان من الزمرد وقطع الياقوت فقالت له: لا بد لي من هذه السلسلة. فقال الأحدب وقد غلب عليه هواه: هي لك، فأخذتها وذهبت<sup>(٢)</sup>.

على الجانب الآخر فقد وُلد للأفضل ولدٌ، واجتمع سائر نساء كبار الدولة، ولبست تلك الجارية هذا العقد فصارت تشتعل كالجمر، فلما رأتها بقية الجواري أبلغوا الأفضل، فأحضرها وضغط عليها فاعترفت على الأحدب، فأحضره، وتوجه الأفضل معه وتسلم الكنز، ولم يُر الأحدب بعدها، فكان الكنز سبب سعادة الأفضل<sup>(٣)</sup>.

### مقتنيات الخلفاء والولاة من الكنوز الفرعونية:

وُجد في خزائن الولاة والخلفاء والأمراء الكثير من المقتنيات الفرعونية والتي وُصفت بأنها تأخذ العقل لتفردا واتقانها، فمن ذلك ما كان في ذي الحجة سنة أربع وخمسين وأربع مئة في صقلية أن رجل يدعى بسيل عبد رومي أهدى مولاه تاج الدولة هدايا نفيسة فرعونية الأصل جلييلة القدر، كان في حملة ما أهداه سफطاً صغيراً فيه حجر متوسط القدر، أغبر اللون، مثلث الشكل، ينفع من داء الاستسقاء المائي، وأنه كان يجعل على من به هذا الداء فيبدأ منه بإذن الله، ولم يزل هذا الحجر عند تاج الدولة بصقلية إلى أن نهب في جملة ما نهب من ماله عند هروبه إلى مصر<sup>(٤)</sup>.

ووجد مع مقتنيات بعض المطالبين حقٌ من نحاس. فيه حق من زجاج، في فص أسود من حجر عليه صورة قرد مُنعظ" في وضع القرفصاء"، فكل من أمسكه أنعظ مادام في يده أو في فمه، فإذا ألقاه إلى الأرض عاد إلى حاله. وأن هذا المطالبي سلمه إلى بعض خدمه لينتفع به غلمانه ومن أحب من أصحابه، وأن الخادم أنف من حملة فكسره، وبطل عمله<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن أبيك: كنز الدرر وجامع الغرر، ج٢، ص ٤٦٩.

(٢) ابن أبيك: كنز الدرر وجامع الغرر، ج٢، ص ٤٧٠.

(٣) ابن أبيك: كنز الدرر وجامع الغرر، ج٢، ص ٤٧٠.

(٤) الرشيد بن الزبير: الذخائر والتحف، تحقيق محمد حميد الله، راجعه: صلاح الدين المنجد، الكويت ١٩٥٩م، ص ٨٤.

(٥) ابن الزبير: الذخائر والتحف، ص ٨٤.



وعندما استولى بنو العباس على خزائن مروان بن محمد حين ظفر به بمصر، وجدوا من جملة ما وجدوا مائدة أرضها بيضاء، وفيها خطوط سود وحمرة، سعتها ثلاثة أشبار، وغلظها أصبع، وفتحة شبر ونصف. في وسطه صورة أسد ثابت، وأمامه رجل قد برك على ركبتيه وقد أعرق السهم في القوس، ولم يزل في خزائهم إلى خلافة المأمون. فأهداهما وغيرهما إلى دهمي ملك الهند. وأن هذه المائدة صنعت على شكل المشتري فمن أكل عليها لم يشبع، وهي من صنع الفراعنة<sup>(١)</sup>.

وفي سنة ٥١٥هـ / ١١٢١م قتل الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش، ونزل الخليفة الأمر بأحكام الله إلى دار الملك، وأمر ألا يتحدث أحد بموته، ثم نقل منها أموالاً لا تحصى وتحفاً قديمة وأمتعة يعجز عن حصرها<sup>(٢)</sup>.

قال القاضي شمس الدين بن خلكان، إنه لما مات الأفضل وجد له من جملة ما وجد ست مئة ألف دينار عين مصرية ومنتان وسبعون إردباً دراهم نقد مصر، وخمسة وسبعون ألف ثوب ديباج أطلس، ومئة مسمار من ذهب وزن كل مسمار مئة مثقال، ودواة ذهب فيها جوهر قيمته اثنا عشر ألف دينار<sup>(٣)</sup>، ومن جملة ما وجد له صندوقان ملنا إبر ذهب برسم الجواري، وأما الجواهر والفصوص والأواني المرصعة فشيء عظيم، و شيء لا يحصيه إلا الله عز وجل<sup>(٤)</sup>.

وعمر مدة حياته عدة عمائر منها: التاج والسبع وجوه، وذكر المؤرخون أن من التاج إلى السبع وجوه عقداً مبنياً من تحت الأرض يمشي فيه الفارس برمحه، أزج مقعودة، وقيل إن فيه كنزاً مدفوناً إلى الآن، وإن فيه أكثر ذخائر الكنز الذي وجده<sup>(٥)</sup>.

### الدور الاقتصادي للمطالب والدفائن وآثارها الاجتماعية (سك العملة- وبناء للمساجد والمستشفيات وأعمال البر والصدقة)

كان للدفائن والمطالب والكنوز التي عثر عليها ولاية مصر وسلطينها أكبر الأثر في الرواج الاقتصادي في مصر من ذلك أن أحمد بن طولون لما غاصت في الأرض رجل فرس أحد غلمانها، وكشف عن الكنز الذي شاع ذكره

(١) ابن الزبير: الذخائر والتحف، ص ٨٤.

(٢) ابن أبيك: كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٢، ص ٤٨٦.

(٣) ابن أبيك: كنز الدرر، ج ٢، ص ٤٨٦.

(٤) ابن أبيك: كنز الدرر، ج ٢، ص ٤٨٦.

(٥) ابن أبيك: كنز الدرر، ج ٢، ص ٤٨٧.

والذي قدره المؤرخون بألف دينار<sup>(١)</sup> كتب إلى الخليفة المعتمد في العراق، يستشيريه فيما يصرفه، فكتب إليه الخليفة المعتمد أن يصرفه في وجوه البر فبنى منه البيمارستان، ثم أصاب بعده أحمد بن طولون في الجبل مالا عظيماً فبنى منه الجامع، وأوقف جميع ما بقي من المال في الصدقات، فكانت صدقاته معروفة لا تحصي من كثرتها، وصرفها أحمد بن طولون في وجوه البر بنية قوية وشهوة شديدة<sup>(٢)</sup>.

ثم إن أحمد بن طولون عندما عثر على حوض كبير عظيم ملئ بالدنانير وعليه لوحة مكتوب عليها كتاب بلغة غريبة وصفها النص أنها "البيزنطية"، فلم يجد أحمد بن طولون من يقرأ هذا الكتاب فذله أعوانه على راهب كبير السن يقيم بدير العربية بالصعيد له معرفة بخط الأولين، فأمر أحمد بن طولون بإحضاره، فوجدوه لا يقوى على الحركة، فحمل الكتاب إليه<sup>(٣)</sup> فلما نظر إليه قرأه وإذا فيه: "أنا أكبر الملوك وذهبي أخلص الذهب" فلما بلغ ذلك أحمد بن طولون قال: قبح الله من يكون هذا الكافر منه وذهبه أخلص من ذهبه، فشدد من وقتها العيار في دار الضرب، وضرب الدينار الأحمدي<sup>(٤)</sup>، كما أسقط أحمد بن طولون في عهده عن كاهل الناس الضرائب والمعادن من كثرة وقيمة الكنز الذي حصل عليه<sup>(٥)</sup>.

ويشير المقرئزي إلى ذلك قائلاً: "إن أحمد بن طولون.. نظير إسقاطه للمعادن والمرافق، والتي كانت تحصل من مصر في السنة حوالي ألف دينار، فمن الله عليه بأن وفقه في الحصول على كنز وادي هيبب الذي تتعدى قيمته ألف دينار<sup>(٦)</sup>، فها هو في حديثه يقول إن أحمد بن طولون أسقط عن الناس الضرائب والمعادن، فكافأه الله على ذلك بأن جعله يعثر على الكنز المشهور هذا<sup>(٧)</sup>، وكان لهذا الكنز الفضل في الرواج الاقتصادي الذي شهدته الدولة

(١) ابن سعيد الأندلسي: المغرب في حلي المغرب، ج ١، ٩٩؛ الفلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ٤٦٥،

٤٦٦؛ المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ٣١٦؛ ابن الزبير: الذخائر والتحف، ص ٢٤٨.

(٢) ابن سعيد الأندلسي: المغرب في حلي المغرب، ج ١، ص ٨٦؛ المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ٣١٦.

(٣) البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص ١٩٥؛ الفلقشندي: صبح الأعشى، ج ١، ص ٤٦٦؛ ابن سعيد الأندلسي: المغرب في حلي المغرب، ج ١، ص ٩٩.

(٤) البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦.

(٥) ابن سعيد الأندلسي: المغرب في حلي المغرب، ج ١، ص ٩٨، ٩٩؛ المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ٣١٦.

(٦) المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ٣١٦.

(٧) المقرئزي: الخطط، ج ١، ص ٣١٦، ابن الزبير: الذخائر والتحف، ص ٢٤٨.

الطولونية ، وفي انتعاش حالة الناس ، وارتفاع قيمة العملة، فكانت أجود عياراً من السندي<sup>(١)</sup>.

كما أنفق أحمد بن طولون بأمر من الخليفة المعتمد معظم هذا المال الذي عثر عليه في وجوه الخير والتقوى، فحفر العين التي يشرب فيها الناس، وأقام الجامع، والبيمارستان، وأوقفوا عليهم الأوقاف<sup>(٢)</sup>، ولم يقتصر الأثر الاقتصادي للمطالب على عصر أحمد بن طولون فقط، فقد أنفق الحاكم بأمر الله من الكنز الذي عثر عليه في عهده والذي اشتهر بكنز الدب<sup>(٣)</sup>.

كما ترك لوردان الذي حصل على الكنز والذي قتل الدب، ما كان معه في قفصه ، وأوصى ألا يتعرض له أحد، فأقام وردان من هذا المال سوقاً، ساعد في الرواج التجاري والاقتصادي في مصر كلها، فيما عرف بسوق وردان ، والذي تحول مع مرور الزمان إلى خربة وردان<sup>(٤)</sup>.

يدافع موريس لمبار عن المؤرخ الذي أورد حديث الكنز عندما اتهمه المعاصرون بالمبالغة في قيمة الكنز وهي ألف ألف دينار، قائلاً: إن مليون دينار تساوي أربعة آلاف كيلو جرام من الذهب ، لكننا لا يجب أن نتهم المؤرخ الذي أورد لنا هذه الحادثة بالمبالغة التي عرف بها الشرق، إذ إن في عهدنا هذا قدر وزن الذهب الصافي في كنوز مقبرة توت عنخ آمون بضعف الغطاء الذهبي في البنك الأهلي المركزي لمصر آنذاك<sup>(٥)</sup>.

وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على مقدار الغنى والثراء الذي تمتعت به مصر في تلك الحقبة الزمنية ، كما يدل على مدى غنى المطالب بالذهب<sup>(٦)</sup> ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد عثر الأفضل على كنز عظيم كان له أعظم الأثر فيما تمتعت به مصر في عهده من رواج اقتصادي، وما انعكس عليها من بناء وعمائر قام بها الأفضل في عهده<sup>(٧)</sup>.

(١) نسبة إلى السندي بن هاشك الذي تولى ضرب السكة لهارون الرشيد واشتهرت سكوته بجودة العيار (الكرملي: النقود العربية، ص ٤٥ - ٤٨).

(٢) البلوي: سيرة أحمد بن طولون، ص ٧٦؛ المقرئ: الخطط، ج ١، ص ٣١٦؛ عبدالعزيز العطار: مظاهر الرعاية الاجتماعية في العصرين الطولوني والإخشيدى، ص ٥٣.

(٣) ابن أبيك: كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٦، ص ٣٠٢، ٣٠٣.

(٤) ابن أبيك: كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٦، ص ٣٠٣.

(٥) موريس لمبار: الذهب الإسلامي منذ القرن السابع إلى القرن الحادي عشر الميلادي، ترجمة توفيق اسكندر، المحلة التاريخية المصرية، ١٩٨٤م، ص ٦٠، ٦١.

(٦) موريس لمبار: الذهب الإسلامي، ص ٦١.

(٧) ابن أبيك: كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٢، ص ٤٦٧.

عُرِف هذا الكنز الذي ذكرناه سابقاً بكنز الحمارة وعمر الأفضل في حياته من هذا الكنز أو المطلب عدة عمائر منها التاج والسبع وجوه، وبنى من التاج إلى السبع وجوه بناءً تحت الأرض يمشي فيه الفارس برمحه، مبني على شكل عقود<sup>(١)</sup>

وبناءً عليه فقد عمّر الأفضل وبنى بجزيرة الروضة عدة عمائر ومناظر ، وفي سائر أرض مصر من هذا الكنز الذي عثر عليه<sup>(٢)</sup> ، كما بنى السوق الذي بداخل باب القنطرة، والذي عرف بسويقة أمير الجيوش، وعمر بستان البقل مع عدة بساتين أخرى وعدة متنزهات<sup>(٣)</sup>، كما وُجد في قصره عند موته من التحف والأموال والأمتعة والكنوز ما عجز عن حصرها<sup>(٤)</sup>.

### الهوس الشعبي بالمطالب وظهور حالات النصب والسحر:

كما كان للمطالب قيمة اقتصادية كبيرة عادت على أهل مصر بالرخاء ورواج الاقتصاد وازدهار البناء، فقد كان لها أيضاً آفة اجتماعية خطيرة نخرت في عظام المجتمع المصري إلى يومنا هذا، فانزلق المهووسون بها إلى السحر والشعوذة والتنطع وترك العمل والتنقيب عما تركته الأمم السابقة في الأرض، مما كان أرضاً خصبة حرث فيها الدجالون والنصابون والمشعوذون وزرعوا في عقول عامة الناس وخاصتهم أن الكنوز حبيسة الجن والحراس، ولا بد من البذل والعطاء من بخور وذبائح حتى يرضى الجن ويسمح لهم بأخذ المكان كله أو بعضه أو ما يسمح لهم منه.

وقد أرجع ابن خلدون كل هذا إلى التنطع من ضعفاء العقول فقال " إن كثيراً من ضعفاء العقول يحرصون على استخراج الأموال من تحت الأرض ويبتغون الكسب من ذلك، ويعتقدون أن الأمم السالفة كلها مختزنة تحت الأرض أموالها مختوم عليها بطلاسم سحرية لا يفيض ختامها ذلك إلا من عثر على علمه واستحضر ما يجله من البخور والدعاء والقربان... " <sup>(٥)</sup>.

لقد عبر ابن خلدون عن هذه القضية بشكل واضح فقال " وفي كل قطر وبلد من المهووسين والباحثين عن الغنى السريع بدون كد ولا عمل، فأهل إفريقية يبحثون عن كنوز الإفرنجة الذين كانوا قبل الإسلام والذين أودعوها باطن الأرض، ويبحثون عن السبيل إلى استخراجها، وأهل الأمصار بالمشرق

(١) ابن أبيك : كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٢، ص ٤٨٧ .

(٢) ابن أبيك : كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٢، ص ٤٨٧ .

(٣) ابن أبيك : كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٢، ص ٤٨٧ .

(٤) ابن أبيك : كنز الدرر وجامع الغرر، ج ٢، ص ٤٨٧ .

(٥) ابن خلدون: مقامة ابن خلدون، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت)، ص ٢٧٠.

يرون مثل ذلك أن أمم القبط والروم والفرس، قد أودعوا كنوزهم الأرض، ويحكون فيما بينهم بعض الحكايات التي تشبه في سردها الخرافات، فإذا قام بعض الطالبين بالحفر ووصل إلى موضع المال، فإذا كان ليس خبيراً بفك الطلاسم وجد المال أو الكنز تحول ديداناً أو هرب الكنز من أمامه أو يرى الأموال والجواهر ولكن الحراس من الجن سيوفهم منتصبية أو أن الأرض غارت بالكنز، حتى تظن أنه خسف"<sup>(١)</sup>.

وفى ذات المنحى يقول "إن الكثير من طلبة البربر بالمغرب والذين يعجزون عن العمل وكسب الرزق، يتقربون إلى عامة الناس بحيل لكسب معاشهم بالنصب والاحتيال على الناس، فيرسمون لهم خطوط أهل الدفائن والكنوز، التي تخبر عن أماكن الدفائن والمطالب ويعطونهم الأمارات عليها في أماكنها، يبتغون من العامة الرزق فيجعلونهم يحفرون الأرض خلسة خوفاً من الحكام والعقوبات"<sup>(٢)</sup>، وربما تكون عند هؤلاء الطلبة حيلة أو نادرة من الأعمال السحرية فيتعلق به كثير من ضعفاء العقول، فيجمعوا الناس على الحفر في ظلمات الليل مخافة من الرقباء وعيون أهل الدولة"<sup>(٣)</sup>.

وإذا لم يعثروا على شيء بعد حفرهم وتعبهم وبذل المال والرجال، يرجعون ذلك إلى الجهل بالطلسم الذي ختم به المطلب، يخادعون الناس، وهذا يدل على ضعف عقولهم وعقول ضحاياهم، وعجزهم عن السعي وكسب الرزق من غير تعب ولا مشقة، فإذا عجز عن كسب الرزق بالسعي والكد والفلاحة والصناعة، تمنى في نفسه المال العظيم دفعة واحدة من غير تعب ولا مشقة، فينفق من المال الكثير، ويبدل قصاري جهده وتحصيل ما أنفقه فيبحث في كل مكان ابتغاء تعويض خسارته على التنقيب والحفر على المطلب"<sup>(٤)</sup>.

وممن يجدهم يحرصون على طلب المطالب والدفائن والكنوز المترفون في كل عصر وحين من أهل الدولة والمسؤولين فيها، ومن أغنياء الأمصار المترفين والمتنيسر حالهم مثل مصر، فنجد أكثر من تراهم من أهلها مغرمين بطلب المطالب والدفائن والطامعين في إيجاده والبحث عنه، والدائمي السؤال عن شواذ الكنوز، والصعب منها، ويزيدون في البحث عن طريقة تغوير الماء، لأنهم يعتقدون أن الكنوز متواجدة في مجاري الأنهار"<sup>(٥)</sup>.

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٧٠.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٧١.

(٣) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٧١.

(٤) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٧١.

(٥) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٧١.

ويطالب الباحثون عن الدفائن والكنوز بالكيمياء كوسيلة للوصول للدفائن والمطالب، ومن الطريف أن ابن خلدون يذكر كيف كان الطلاب المغاربة يوهمون المصريين أنهم قادرون على تغوير الماء في باطن الأرض لكي يستطيعوا الوصول إلى الكنوز، كما أنهم إذا فشلوا في الوصول إلى المطالب تغلوا بجريان النيل، وأن الحفر لا بد أن يتم عند انخفاض مياه النيل تشتتداً بذلك عن الكذب حتى يستطيع النصب والعيش على ما ينفقه عليه المتيسرون من أهل مصر<sup>(١)</sup>.

كما كان يتم إيهام ضعاف العقول أنه يمكن تغوير المياه بالأعمال السحرية، ويوهم العامة والأثرياء أن السحر متجذر في مصر من الأولين وآثاره باقية في البرارى وغيرها، وما قصة فرعون وموسى عنهم ببعيد، ذكرت في كتاب الله أكثر من مدة وفي أكثر من موضع<sup>(٢)</sup>

وقد ألف المغاربة لهم قصيدة نسبوها إلى حكماء الشرق تبين كيفية العمل بالتغوير عن طريق ساعة سحرية يقولون فيها:

يا طالباً للسر في التغوير	اسمع كلام الصدق من خبير
دع عنك ما قد صنفوا في كتبهم	من قول بهتان ولفظ غرور
واسمع لصدق مقالتي ونصيحتي	إن كنت مما لا يرى بالزور
فإذا أردت تغور البئر التي	إن حاوت لها الأوهام في التدبير <sup>(٣)</sup>

وإن كانت هذه القصيدة من خيالات المنحرفين، فإن هؤلاء الباحثين عن المطالب لهم أحوال عجيبة، فيسكنون المنازل المشهورة والدور المعروفة ويحفرون الحفر، ويضعون الشواهد التي يكتبونها في صحائف لينصبوا بها على ضعاف العقول، ويطالبونهم بالمال ليشتروا به العقاقير والبخور لحل الطلاس<sup>(٤)</sup>، ويقومون بتبخير المكان والحفر الذي حفروه، ويذبحون عليه بعض الحيوانات، وأن هذا الكلام لا أساس له، ولا خير ويقول ابن خلدون إن الكنوز إن وجدت فهي في حكم النادر على وجه الاتفاق، ليس هناك علم يقول أن الناس ادخروا أموالهم تحت الأرض، ويقومون بختمها بالطلاس لا في قديم الزمان ولا في حديثه، والركاز الذي فرضه الفقهاء وورد في الحديث إنما هو دفين

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٧١.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٧٢.

(٣) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٧٢.

(٤) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٧٢.

الجاهلية، ويقول ابن خلدون أيضاً<sup>(١)</sup> إن من دفن ماله وختم عليه بالأعمال السحرية وبالغ في إخفائه، فكيف يترك دليلاً أو أمانة لمن يبتغيه ويكتبه في صحائف حتى يجده أهل الأمصار والآفاق، وهذا مناقض تماماً لمبدأ الإخفاء<sup>(٢)</sup>.

وأما قول الطالبين للكنوز أن الأموال في الأمم التي سبقتنا كانت كثيرة، فإن الأموال وسائر العقارات والمعادن تنتقل من بلد إلى بلد ومن دولة إلى أخرى بحسب أغراضه والعمران<sup>(٣)</sup>، وأما ما وقع في مصر من أن الفراعنة كانوا يدفنون أموالهم على مذهب دينهم، فلما زالت دولة الفراعنة وملك الفرس، نقبوا قبورهم وكشفوا كنوزهم ومالا يوصف وكذا فعل اليونان، وذلك أن قبور الفراعنة من آلاف السنين صارت ملعباً للمهووسين والحمقى مظنة منهم لوجود بعض المقابر التي نجت من نهب الفرس واليونان والرومان والأمم الأخرى التي أتت بعد الفراعنة<sup>(٤)</sup>.

وصدرت ضريبة على من يشتغل بذلك من الحمقى والمهووسين وينهى ابن خلدون حديثه الفريد عن المطالب قائلاً "نعوذ بالله من العجز والكسل والنصب والسحر وما استعاذ به رسولنا الكريم"<sup>(٥)</sup>.

### المطالب وفتحها بين الحقيقة التاريخية والحكايات الشعبية :

شكلت الصدفة البحتة في أغلب الأحيان طريقة من طرق الحصول على الكنز، واختلفت الصدفة بين إنه يبني بيتاً ويحفر أساسات فيجد الكنز بدون بحث ولا قصد للتنقيب، كما دل الحيوان في كثير من الأحيان على وجود الكنز، بأن تغوص رجل الفرس أو يقع في الكنز أحد الخرفان فينزل الراعي لينجده فيكتشف الكنز، أو أن حمارة كان صاحبها عارفاً لمكان الكنز ويخون صاحبها وتباع لغيره فتدله على الكنز، فمن ذلك أن أحمد بن طولون لما بعد في الصحراء، نزلت رجل فرس بعض غلمانه في حفرة، فوقف أحمد بن طولون وأخرج رجل الفرس، فإذا فتق من الأرض، فأمر بالحفر في المكان، وأنفق الأموال على الرجال والحفر، فعثر على كنز مقداره ألف ألف دينار كما أسلفنا سابقاً<sup>(٦)</sup>.

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٧٢.

(٢) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٧٢.

(٣) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٧٢.

(٤) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٧٣.

(٥) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٧٣.

(٦) البلوي: سيرة ابن طولون : ص ٧٦ .

ولما اشترى الإسكافي لحماره من السوق، وكانت صاحبها قد توفي، خرج بها نحو القرافة، فظلت تسرع به المشي حتى طلعت به إلى الجبل، ووصلت به إلى مكان فيه فدود وتبن وشعير، فنظر الإسكافي الأحذب فإذا سلم نازل إلى الكنز بجوار المدود، فطار عقله من الفرح عندما نزل من السلم، فوجد فيها من الأموال ما لا يقدر عقل على حصره<sup>(١)</sup>

أما عن قصة قتل الحارس من الجن الذي كان على شكل دب وأمرأته، فقد كان وردان كما أسلفنا كان يعمل جزاراً فكانت تأتيه امرأة كل يوم تأخذ منه خروفاً وتأمرة أن يشقه نصفين، فتبعها، فوجدتها هي والدب حراساً على الكنز فبعد أن أكلوا وشربوا الخمر وسكروا قام بفصل رأس الدب عن بدنه، فاستفاقت المرأة على صوت ذبحه فقالت لوردان اقتلني، قال لها توبي وأتزوجك، أما فقدت الرجال حتى تضاجعي هذا الدب، فقالت له ألحقني به قبل أن تغرق، فتمتتم في إناء فيه ماء، حتى فار الماء، فقال لها كفي فإني سأفعل ما تريدين، فأمسك شعرها وذبحها واستلم الكنز وسلمه للحاكم، وكان هذا الدب هو حارس وقربان الكنز، وفتح الكنز على هذا<sup>(٢)</sup>

وهناك من الكنوز ما هو مصنوع باللوالب والهندسة، كالكنز الذي وصل بابه عبدالعزيز بن مروان، ولم يستطع فتحه، وهلك فيه ألف رجل من الحفارين وناقلوا التراب والأمرون والناهون، الذين بلغ عددهم ألف رجل، هلكوا جميعاً بمجرد أن وضع أحدهم رجله على درج مصنوع باللوالب، فغاص الدرج، وهلك ألف رجل، فأمر عبدالعزيز أن يردمه، وقال هذا مطلب ممنوع، نعوذ بالله منه، وردد التراب على من هلك من الناس، فكان المكان قبراً لهم<sup>(٣)</sup>

أما الطريقة الثالثة لفتح المطالب فهي التنبؤ بمكانها وشكلها وحجمها عن طريق أهل الدفائن والمطالبة، فقد جاء إلى الإخشيد جماعة من المطالبة ناصحين له، فقال لهم ما هي نصيحتكم، قال على أنزع من الأهرام مطلبٌ عجيب فأذن لهم في حفرة، وأعطاهم ما يحتاجون له من العمال والمال، إلى أن وصلوا إلى أزج وأقباء وحجارة مجوفة، وفتحوا الباب فوجدوا فيه من التماثيل القائمة على أرجلها من الخشب ومنها تماثيل من الذهب والزمرد وأنواع الجواهر، ومنها ما هي وجوهها ذهب وفضة، على شكل شيوخ وأطفال وشبان، وأعينهم من أنواع الجواهر كالياقوت والزمرد<sup>(٤)</sup>

(١) ابن أبيك: الدرر وجامع الغرر، ص ٤٦٨.

(٢) ابن أبيك: كنز الدرر وجامع الغرر، ج ١، ص ٢٠٢-٢٠٨.

(٣) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ١، ص ٣٦٦، ٣٦٧.

(٤) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج ١، ص ٣٦٨؛ النويري: الإلمام، ج ١، ص ١٠١-١٠٢.



أما الطريقة الرابعة لفتح المطالب فهي عن طريق فك رموز المطالب، ومن عجيب حكايات الحاكم بأمر الله ما احتواه "كتاب حل الرموز في علم الكنوز، وهو كتاب جليل القدر حسن الأخبار كثير الفائدة، لكتابه عبدالرازق بن عبدالأعلى القيرواني، ذكر فيه أرض مصر وما فيها من العجائب والمطالب والكنوز، وجمع في هذا الكتاب أسماء أربعين كنزاً من كنوز مصر، مما عمل ملوك الفراعنة بعد الطوفان، وما فتح من هذه الكنوز وما لم يفتح، وذكر في هذا الكتاب أشياء ملاحاً تصل إلى العقل وتقبلها الطباع السليمة، تدل على تمكن صاحبها من علوم كثيرة، ورمز في كتابه هذا رموزاً لا يصل إلى حلها إلا كل ذهن رائق وفكرة قاذحة، ومن جملة ما ذكره أن هذه الكنوز مختصة بصور، لا يفتح ذلك الكنز إلا تلك الصورة ولو اجتمع عليه أهل الأرض فإذا ذهب ذلك الشخص صاحب تلك الصورة إلى ذلك الكنز فتح له من غير كد ولا تعب<sup>(١)</sup>

وفى سياق العلاقة الجدلية بين المطالب والأساطير يقول المسعودي إن والي مصر عبدالعزيز بن مروان قد علم من المطالبين بوجود كنز في تل عال، فبدأ يحفر في هذه الجهة إلى أن كشف عن رأس ديك يلتمع عينيه بريق شبه البرق، يأخذ بالأبصار وما لبث هذا الديك أن رفرق بأجنحته وصاح صيحة مدوية اهتزت لها أركان المكان وهاجت الأرض وماجت ثم انفتحت ثغرة فيها ابتلعت كل من كان في المكان وعدداً يناهز الألفين من العمال والرؤساء، ولما رأى عبدالعزيز ذلك استولى عليه الرعب وترك البحث والتنقيب، وهناك قصص كثيرة من هذا النوع نسمعها من كل جهة من جهات الصعيد<sup>(٢)</sup>.

ومن عجائب المطالب والكنوز أن هناك براباً في أخميم طلسم قطعة من حجر في صورة القلنسوة الطويلة معنقة الرأس كأنها منقار، يقال إن تحتها مالا عظيماً، فجهد جماعة من الولاة أنفسهم في قلعها أو كسرها، فلم يطيلوا ذلك وتكسرت المعاول عليها، ولم ينتلم منها شيء<sup>(٣)</sup>

ويحكي أهل الأقصر عن سفينة ذهبية تخرج في مياه البحيرة المقدسة في بعض الليالي متألقة كالشمس، عليها ملك من الذهب الخالص يسير دفتها، وإلى جانبه بحارة من الفضة، فإذا أرسل القمر ضوءه سارت السفينة تتهادى، تاركة وراءها خطاً طويلاً من الأحجار الكريمة، فصاحب الحظ ينتظر هذه

(١) ابن أبيك: كنز الدرر وجامع الغرر، ج ١، ص ٣٠١، ٣٠٢؛ محمد بن احمد الخزرجي الأنصاري: كتاب الرموز في فتح المطالب والكنوز، مخطوط بمكتبة جامعة الملك سعود، الرياض، ٣٠٣٨، ورقة ٣، ٤.

(٢) المسعودي: مروج الذهب، ج ١، ص ٣٦٧؛ المقرئ: الخطط، ج ١، ص ١٢٥؛ النويري: الإمام، ج ١، ص ١٠٠-١٠١؛ محرم كمال: آثار وحضارة الفراعنة في حياتنا الحالية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ٢٠١٢م، ص ١٠٥-١٠٦.

(٣) النويري: الإمام، ج ١، ص ١٠٠-١٠٣.

السفينة إذا اقتربت إلى الشاطي صعد إليها وفي عقله من راكبيها، فاعترف منها ما يشاء، وانقلب إلى بيته وقد جمع من الخيرات ثروة الكنوز<sup>(١)</sup>

وربما كانت حكاية وردان والمرأة والدب التي ذكرناها سابقاً خير مثال على انتاج المخيال الشعبي حكايات ثرية محورها بالكامل عن المطالب والكنوز وهو ما يؤرخ لعلاقة الذهن المصري بالمطالب.

على أن هناك أسطورة يرويها أهالي دندرة في صعيد مصر، عن معبد موجود في هذه الجهة، فهم يقولون ، إن ملكاً من ملوك العهد القديم ، عاش ومات منذ آلاف السنين، كان غنياً جداً وقوياً جداً، وأنه أراد قبل موته أن يجد لأمواله حرزاً مكيناً، فأبنتى في أرض هذا المعبد نفقاً كدس فيه أمواله وذخائره<sup>(٢)</sup> وأقام على أمواله بقرة تقوم بحراستها ، بقرة شديدة البأس عظيمة القوة والمراس، يتطاير الشرر من عينيها، هذه البقرة كانت تخفي بالنهار وتظهر في الليل حيث تظل متنقلة بين أرجاء المعبد وعيناها تراقب الكنز التي أقيمت على حراسته ليل نهار، وبهذا بقي الكنز آلاف السنين محفوظاً مصاناً يهاب أهالي الجهة الاقتراب منه خوفاً ورعباً من بطش هذه البقرة العظيمة<sup>(٣)</sup>.

غير أن هناك مزارعاً كان له حقل بجوار هذا المعبد قد زرعه عدساً، فلما اشتد العدس ونما ، كان يلاحظ أن عدسه ينقص كل ليلة، وكان يبدأ تمتد إليه في الظلام، فراقب الرجل الحقل ليرى السارق، فإذا بتلك البقرة العظيمة السوداء ترعى في حقله وتأكل ما طاب لها، فغضب الرجل وفكر في سرقة الكنز بينما البقرة ترعى في حقله، وانتهاز فرصة انشغال البقرة عن حراسة الكنز، وملاً زكيته وبينما هو كذلك، اهتزت جدران المعبد بأصوات عدو قوية، وإذا بالكنز يرتج بابه، وإذا بالبقرة تظهر غاضبة منكرة، وعاد الفلاح إلى منزله يلهث، ففتح بابه وأفرغ ما في زكيته في إناء كبير، وحفر للإناء ودفنه في الأرض، ظل الكنز مختفياً لمدة عن الأعين ، إلى وقت الحاجة فذهب الرجل ليخرج كنزه، فأمسك الرجل بالإناء فإذا بالإناء يغوص في الأرض، ويختفي الإناء بما فيه ولم يأخذ الإناء الكنز فقط وإنما أخذ ما كان قد ادخره من عرق جبينه<sup>(٤)</sup>.

وفي النهاية فإن التأريخ للمطالب والدفائن في تاريخ مصر الإسلامية يشكل أهمية حقيقة نظراً لتمامه مع التاريخ الاجتماعي والاقتصادي، والأهم من ذلك كونه أحد المدخلات الهامة لفهم تاريخ الذهن والفكر والهوس الشعبي بالدفائن قديماً وحتى الآن.

(١) محرم كمال: آثار وحضارة الفراعنة، ص ٩٠ - ٩١.

(٢) محرم كمال: آثار حضارة الفراعنة، ص ٩٣.

(٣) محرم كمال: آثار حضارة الفراعنة، ص ٩٤.

(٤) محرم كمال: آثار حضارة الفراعنة، ص ٩٥.

## الملاحق

## ملحق عن التغوير

اسمع كلام الصدق من خبير  
 من قول بهتان ولفظ غرور  
 إن كنت مما لا يرى بالزور  
 جارت لها الأوهام في التدبير  
 والرأس رأس الشبل في التقوير  
 في الدول ينشل من قرار البيير  
 عدد الطلاق احذر من التكرير  
 مشي اللبيب الكيس النحرير  
 رببعة أولى من التكوير  
 واقصد عقب الذبح بالتبخير  
 والقسط وألبسه بثوب حرير  
 لا أخضر فيه ولا تكدير  
 أو أحمر من خالص التحمير  
 ويكون بدء الشهر غير منير  
 في يوم سبت ساعة التدبير<sup>(١)</sup>

يا طالباً للسر في التغوير  
 دع عنك ما قد صنفوا في كتبهم  
 واسمع أصدق مقالتي ونصيحتي  
 فإذا أردت تغور البئر التي  
 صور كصورتك التي أوقفتها  
 ويدها ماسكتان للحبل الذي  
 وبصدره هاء كما عاينتها  
 ويطأ على الطآت غير ملامس  
 ويكون حول الكل خط دائر  
 واذبح عليه الطير والطخه به  
 بالسندورس واللبنان وميعة  
 من أحمر أو أصفر لا أزرق  
 ويشده خيطان صوف أبيض  
 والطالع الأسد الذي قد بينوا  
 والبدر متصل بعد عطارد

(١) ابن خلدون: المقدمة، ص ٢٧١ والتي تليها.

## ثبت بأسماء المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

المخطوطات:

محمد بن أحمد بن العشاير بن وحشي بن عبدالله الخزرجي الأنصاري:

- كتاب الرموز في فتح المطالب والكنوز، مخطوط بمكتبة جامعة الملك سعود، الرياض، رقم ٣٠٣٨.

المصادر المطبوعة:

البلوي: هو محمد بن عبدالله بن محمد المدني البلوي. ت (ق ٤هـ / ١٠م)

- سيرة أحمد بن طولون، تحقيق محمد كرد علي، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت

الحموي " شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله " ت (٦٢٦هـ / ١٢٢٨م)

- معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ١٩٧٧.

ابن خلدون " عبدالرحمن بن خلدون الحضرمي المغربي " ت (٨٠٨هـ / ١٤٠٥م)

- المقدمة ، دار الأمين للنشر والتوزيع، القاهرة، (د.ت).

ابن الزبير " الرشيد بن الزبير " ت (القرن الخامس الهجري)

- الذخائر والتحف، حققه محمد حميد الله ، قدمه صلاح الدين المنجد، الكويت ١٩٥٩.

ابن زنجويه: " أبو أحمد حميد بن مخلد " ت ( ٢٥١هـ / ٨٦٥م)

- الأموال ، تحقيق شاكر زين فياض، مركز الملك فيصل. الرياض (د.ت).

ابن سعيد الأندلسي " أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد " ت (٦٨٥هـ / ١٢٨٦م)

- المغرب في حلي المغرب، تحقيق زكي محمد حسين، سيدة كاشف ج ١، القسم الخاص بمصر، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة ، الشركة الدولية للطباعة ، ٢٠٠٣م.

**الصنهاجي: محمد بن عبد المنعم الحميدي.** ت (٥٩٠٠ / ١٤٩٤ م)

- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، ط٢، مكتبة لبنان، ١٩٨٤م.

**ابن عبد الحكم " أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم" ت**  
(٢٥٧ هـ / ٩٣٩ م)

- فتوح مصر وأخبارها، تحقيق محمد صبيح، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر، ١٩٧٤م.

**القلقشندي " شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي" ت** (٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، قدمه فوزي محمد أمين، الهيئة العامة لقصور الثقافة، الذخائر ١٣٢، ٢٠٠٤م.

**المسعودي: " أبي الحسن علي بن الحسين بن علي" ت** (٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م)

- مروج الذهب ومعادن الجوهر، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ط٥، ١٩٧٣م.

**المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي ت** (٨٤٥ هـ - ١٤٤١ م)

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، (د.ت).

**ناصر خسرو " أبو معين الدين ناصر خسرو القبادياني" ت** (٤٨١ هـ / ١٠٨٨ م)

- سفر نامه، ترجمة يحيى الخشاب، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٣.

**النويري: " شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب" ت** (٧٣٣ هـ / ١٣٣٢ م)

- نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: محمد أمين، القاهرة، ١٩٩٢م.

**النويري السكندري " محمد بن قاسم بن محمد المالكي" ت** (٧٧٥ هـ / ١٣٧٣ م)

- الإمام أو مرآة العجائب، تحقيق: عزيز سوريال عطية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، د.ت.

ابن أبيك الدواداري" أبو بكر بن عبدالله" ت (١٢٤٥هـ / ١٢٤٧م)

- كنز الدرر وجامع الغرر المسمى الدرر المضيئة في أخبار الدولة الفاطمية، تحقيق صلاح الدين المنجد، القاهرة، ١٩٦٠م.

ثانياً: المراجع

السيد طه أبو سديرة: (دكتور)

- الحرف والصناعات في مصر الإسلامية منذ الفتح العربي حتى نهاية العصر الفاطمي، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩١.

أنستاس ماري الكرملني:

- النقود العربية وعلم النميات، المطبعة العصرية، القاهرة ١٩٣٩.

سيدة إسماعيل كاشف (دكتور)

- أحمد بن طولون، سلسلة أعلام العرب عدد ٤٨، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، د.ت. القاهرة،

محرم كمال : (دكتور)

- آثار وحضارة الفراعنة في حياتنا الحالية، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠١٢م.

ثالثاً: المراجع المترجمة

موريس لمبار:

- الذهب الإسلامي منذ القرن السابع حتى القرن الحادي عشر الميلادي، ترجمة توفيق إسكندر ، المجلة التاريخية المصرية، ١٩٨٤م.

رابعاً: الرسائل العلمية

- ١- عبدالعزيز العطار: مظاهر الرعاية الاجتماعية في العصرين الطولوني والإخشيدي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة طنطا، كلية الآداب، ٢٠١٧م.